الباب الثالث

العصر الحديث

١ ـ الحملة الفرنسية على مصر[١]

(الصراع بين الشرق والغرب)

لم تكُنْ الحملة الفرنسية على مصر مجرد صراع عسكرى بين الدولة العثمانية وفرنسا ، وإنما كانت فى حقيقتها صراعًا بين الحديث ممثلاً فى الفرنسيين ، والقديم ممثلاً فى العثمانيين ، وكانت صراعًا بين الديكتاتورية العثمانية والليبرالية الأوروبية . كانت صراعًا بين أفكار العصور الوسطى وأفكار العصر الحديث .

وكانت مصر محطَّ أنظار فرنسا منذ قديم الزمان ، وتعود هذه الأطماع إلى فترة الحروب الصليبية عندما أرسلت فرنسا حملة بقيادة لويس التاسع ليهاجم مصر ولكن الحملة فشلت ، وتم أسْر لويس التاسع ، وسجنه فى دار ابن لقمان فى المنصورة ، حتى افتدته زوجته بمبلغ من المال .

وفى عهد لويس الرابع عشر تجددت الأطماع الفرنسية فى مصر ، وكان الغرض منها ضرب التجارة الهولندية فى آسيا ، وفى عهد لويس الخامس عشر حاول إقناع الدولة العثمانية بالتنازل له عن مصر ، ولكن السلطان العثمانى رفض هذا الاقتراح .

وكذلك جرتْ محاولة أخرى فى عهد لويس السادس عشر ، ولكن قيام الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩م حال دون ذلك ، وبعد استقرار الحكم فى فرنسا ، وفى عهد حكومة الإدارة استطاعت فرنسا تحقيق أحلامها فى غزو مصر .

ولم تكُنْ مصر مجهولة بالنسبة لفرنسا ، فوجود التجار الفرنسيين فى مصر ، وقيام الرحَّالة الفرنسيين بزيارة مصر ، كلها عوامل ساعدت على معرفة الفرنسيين لمصر معرفة جيدة .

---

(١) عن الحملة الفرنسية انظر : عبد العظيم رمضان : تاريخ الهجمة الاستعمارية على الوطن العربى ، مكتبة الأسرة .

أما عن أسباب الحملة الفرنسية على مصر فيمكن تلخيصها فى أسباب حقيقية ، وهى رغبة فرنسا فى تكوين مستعمرة فرنسية فى الشرق مبتدأة من مصر ، وأن تقطع طريق مواصلات انجلترا عن مستعمرتها فى الهند ، وأن تكتشف طريقًا بديلاً عن طريق رأس الرجاء الصالح ، والذى كانت تسيطر عليه انجلترا .

بالإضافة لفتح أسواق جديدة لتصريف منتجاتها ، والتى تراكمت نتيجة الثورة الصناعية فى فرنسا ، أما الأسباب الغير حقيقية فهى كما أعلنتها فرنسا ، وتتمثل فى محاولتهم تأديب المماليك وتأييد السلطان العثمانى فى صراعه ضد المماليك .

وقد خرجت الحملة الفرنسية من فرنسا سرًا ، متجهة إلى مصر ، خوفًا من مباغتة الأسطول الإنجليزى لها ، ونزلت الإسكندرية ولكن الشعب المصرى قاومها بقيادة السيد محمد كريم محافظ المدينة ، ولكن تمكَّن الفرنسيون من القضاء على المقاومة ، وتم إعدام السيد/ محمد كريم ، وتعيين كليبر حاكمًا على الإسكندرية . وبعدها تقدمتْ الحملة تجاه الدلتا ، وهزمت المماليك فى موقعة شبراخيت شرَّ هزيمة، ثم واصلت زحفها تجاه القاهرة . وتقابلوا مرة ثانية مع المماليك بقيادة مراد بك ، وإبراهيم بك عند إمبابة .

وبعد ربع ساعة بالتمام انتصر الفرنسيون على هؤلاء المماليك ، وأنهوا أسطورتهم، وشرورهم من مصر ، أما عن موقف المماليك فطبيعتهم الفرار ، ولذلك فرَّ إبراهيم إلى الشام ، ومراد بك إلى الصعيد . ودخل نابليون مدينة القاهرة ، ثم قام بمطاردة إبراهيم بك ، وأرسل ديزيه على رأس جيش لمطاردة مراد بك فى الصعيد.

أما عن موقف الأهالى من الفرنسيين ، فقد تولوْا الدفاع عن أنفسهم بعد فرار فئة الجرذان والمسماة بالمماليك ، فقد قاوم الشعب المصرى الباسل الحملة فى الحسينية ، وفى كل أنحاء الدلتا . أما فى الصعيد فلم يتمكن الفرنسيون من تثبيت أقدامهم ، نتيجة بسالة أهالى الصعيد . والذين قادوا عدة معارك ضد الفرنسيين فى كل من سد منت ، بنى سويف ، وجرجا ، وطهطا ، وفرشوط ، ودشنا ، الرديسية جنوب إدفو ، بنى عدى ، أبو جرج فى المنيا ، وإسنا .

وقد صرخ الجنرال ديزيه طالبًا النجدة من بونابرت قائلاً له : إن علينا أن نحارب ثلاث قوى مجتمعة وهم : الأهالى، والعرب القادمون من القصير، والمماليك . فليس من السهل إخضاع هذه البلاد .

وقد تكبدت القوات الفرنسية ما يقرب من سبعمائة قتيل عدا الجرحى فى معارك الصعيد ، ولكى نعرف مدى قوة مقاومة الصعيد للحملة الفرنسية ننظر إلى تواريخ القتال وهى : ٥مارس معركة الصوامعة جنوب طهطا – ٨مارس معركة قفط بقنا ، ٨-١٠مارس معركة أبنود بقنا - ٢أبريل معركة وادى عنبر - ٦ أبريل معركة برديس - ٧ أبريل معركة جرجا - ١٠أبريل معركة جهينة - ١٨أبريل معركة بنى عدى فى أسيوط - ٢٣ أبريل معركة أبو جرج فى المنيا - ١٦ مايو معركة أسوان.

ويتضح من استعراض تواريخ هذه المعارك أنها تكاد تكون يومية ، والفاصل الزمنى بينها قصير مما يدل على عدم تقبُّل الأهالى للفرنسيين ، ومدى شدة المقاومة التى أبدوها ، كما يتضح أيضًا طول المسافة الجغرافية التى دارت فيها هذه المعارك ، فمن أسيوط والمنيا شمالاً حتى أسوان جنوبًا ، الكل كان بطلاً ويقاوم بدون خوف ، ودون الاعتماد على قوى خارجية .

وقد وضع نابليون سياسة جديدة فى مصر ، وأعلن احترامه للدين الإسلامى وعيَّن حاكمًا لمدينة القاهرة وهو الجنرال ديبوى ، كما قام بإنشاء ديوان الغرض منه تدريب المصريين على الحكم الدستورى والنيابى . كما بدأ يتودد إلى المصريين ، فبدأ يرتاد الموالد المشهورة فى مصر ، ويرتدى أحيانًا أزياء المصريين ، ولكن هذه الحيل التى لجأ إليها نابليون لم تنطل على المصريين .

وقد حدث فى نفس العام ، الذى جاءتْ فيه الحملة على مصر ، موقعة أبى قير البحرية عام ١٧٩٨م . والتى ترتب عليها تحطيم الأسطول الفرنسى ، وأوقع الحملة فى مأزق ، وهو عبارة عن فقدانها الإمدادات من فرنسا ، مما أدى بنابليون لفرض ضرائب على الشعب تغطية لخسائره ، مما حدا بالأهالى للقيام بثورة القاهرة الأولى .

ثورة القاهرة الأولى سنة ١٧٩٨م :

كانت الضرائب التى فرضها نابليون على المصريين ، وسلوك الحملة الفرنسية تجاه الأهالى من حيث تفتيش البيوت والدكاكين ، بحجة البحث عن الأسلحة وهدم أبواب الحارات بحجة توسيع القاهرة سببًا فى قيام ثورة القاهرة الأولى ، التى قام الأزهر الشريف بقيادتها . وفيها هجم الأهالى على الجنود الفرنسيين ، وقتلوا الجنرال ديبوى حاكم القاهرة ، فقام نابليون بضرب القاهرة بالمدافع ، ودخل الجامع الأزهر بالخيول ، مما كان له الأثر السلبى على الحملة فى مصر ، حيث عرف المصريون أن نابليون مجرد مُدَّع ولا يحترم الدين الإسلامى ، أما نابليون من جانبه فقد فرض غرامة باهظة على الأهالى ، وألغى الديوان .

وقد حاول نابليون القيام بحملة على بلاد الشام فى عام ١٧٩٩م ، ولكنه فشل فى فتح عكا بسبب قوة تحصيناتها، وبسالة أهلها فى الدفاع عنها ، فعاد بالحملة مرة ثانية ، ثم غادر مصر تاركًا الحملة تحت قيادة كليبر . ولكن كليبر لم يُجبِّذ البقاء فى مصر ، ولذلك وقَّع مع العثمانيين صلح العريش فى عام ١٨٠٠م ، ولكن التدخل الإنجليزى أفشل هذا الصلح .

وقد تجددت الثورة مرة ثانية فى حى بولاق ، فحاصر كليبر الحى ومنع الإمدادات عنه حتى استسلم الثوار ، كما اتفق مع مراد بك على حكم الصعيد ، نيابة عن الفرنسيين . ولكن كليبر لم يعش طويلاً ، حيث تم اغتياله على يد شاب من سوريا اسمه سليمان الحلبى ، كان يدرس فى الأزهر . وتولى من بعده جاك مينو الذى أعلن إسلامه ، وسمَّى نفسه عبد الله جاك مينو ، وقد خرجت الحملة الفرنسية من مصر فى عهده عام ١٨٠١م .

وقد ترتب على وجود الحملة الفرنسية فى مصر ، العديد من النتائج سواء على المستوى السياسى ، أو الاقتصادى أو العلمى . فمن حيث المستوى السياسى ، أيقظت الحملة الفرنسية الشعور الوطنى عند المصريين ، والذى تمخض عنه قيام

الثورات ضد الحملة الفرنسية ، كما أن فكرة الدواوين والتى أوجدتها الحملة ، كانت بمثابة فرصة لتدريب المصريين على المشاركة فى حكم بلادهم لأول مرة منذ فترة كبيرة .

وقد قام الفرنسيون بعدة تغييرات فى مجال القضاء ، حيث ألغوا مبدأ الدية فى الدم ، وحددوا رسوم التقاضى ، واستبدلوا القضاة الأتراك بقضاة مصريين ، كما حددوا ضريبة التركات ، وخصصوا لكل طائفة من الطوائف الأجنبية ، والتى كانت تعيش فى مصر محكمة ، وجعلوا المحكمة الإسلامية هى المهيمنة على هذه المحاكم .

كما قدَّم مينو مشروعه العظيم ، والذى كان يرغب فيه أن يصلح من أحوال الفلاحين المصريين ، فى دفع الضرائب ، وأن يتساوى الكل فى مصر عند دفع الضرائب ، مع إلغاء الضرائب التى ابتدعها المماليك بدون وجه حق ، وأيضًا حرمان الملتزمين من الحقوق القضائية والإدارية التى كانوا يعطونها لأنفسهم على حساب الشعب .

أما من ناحية الاقتصاد ، فقد أصلح الفرنسيون الزراعة ، وأدخلوا محاصيل جديدة فى مصر ، وقاموا بتطهير الترع ، وشق القنوات ، وضبط نهر النيل ، وبالنسبة للصناعة أدخلوا صناعة الساعات فى مصر ، وصناعة النسيج . وأصلحوا ترسانة الجيزة . وبالنسبة للتجارة فتحوا أسواقًا جديدة لتصريف المنتجات المصرية فى إفريقيا ، وشبه الجزيرة العربية ، وكسروا حدة الحصار الاقتصادى الذى ضربه الإنجليز على الشواطئ المصرية .

ومن الناحية العلمية ، قام الفرنسيون برسم أول خريطة لمصر ودراسة كافة أوجه الحياة فى مصر وضموها فى كتاب (وصف مصر) ، وأيضًا يرجع لهم الفضل فى اكتشاف حجر رشيد ، الذى ساعد على فك رموز اللغة الهيروغليفية ، كما درسوا مشروع توصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط ، ولكن خطأ فى المقياس الذى قام به لبير أرجأ تنفيذ المشروع .

٢ ـ عصر محمد على وخلفائه[١]

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، تصارع على حكم مصر العديد من القوى السياسية ممثلة فى الأتراك ، والمماليك ، والإنجليز . وكلٌّ كان يدَّعى وجود حق له فى حكم مصر ، فمنهم مَنْ يستند إلى أقدمية حكمهم لمصر وهم المماليك ، ومنهم من يستند إلى أنه كان يحكم مصر قبل الحملة وهم العثمانيون ، ومنهم من يرى أنه صاحب الفضل فى إخراج الفرنسيين وهم الإنجليز ، ودار صراع بين الفرق الثلاث ، ولكن الأمر فى النهاية آل إلى العثمانيين .

وكان السبب الرئيسى فى عودة مصر للعثمانيين هو أن المماليك كان موقفهم ضعيفًا بسبب نقصانهم العددى ، وانقسامهم فى توجهاتهم السياسية ، أما الإنجليز فرفضوا الدخول فى الصراع مباشرة ، وإنما كانوا يرغبون فى هذا عن طريق إيجاد عملاء لهم مثل محمد بك الألفى . ولكن توقيع فرنسا صلح إميان مع الدولة العثمانية جعل الإنجليز يُرجئون فكرة التدخل فى شئون مصر ، حرصًا على مصالحهم مع الدولة العثمانية ، وخوفًا من حصول فرنسا على امتيازات من الدولة العثمانية .

وقد بدأت مسيرة الحكم العثمانى الثانية بتعيين مجموعة من الولاة ذوى السيرة السيئة من أمثال خسرو باشا ، وخورشيد باشا والذين أساءوا التصرف نتيجة فرضهم الضرائب الباهظة على الشعب ، وخصوصًا فى عهد خورشيد مما ترتب عليه قيام ثورة ضده ، قادها الشعب ، الذى حاصر خورشيد فى القلعة . وقد وقف بجوار الشعب فى ذلك الوقت محمد على قائد الفرقة الألبانية .

شخصية محمد على :

وُلد محمد على فى بلدة قولة عام ١٧٦٩م ، وعمل فى شبابه تاجرًا للدخان ، ثم التحق بالجيش العثمانى بدرجة نفر ، وترقى حتى رتبة شرشمة (مقدم) فى الفرقة الألبانية ، وقدم إلى مصر مع الجيش العثمانى الذى أتى لمحاربة الفرنسيين .

---

(١) انظر : عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، دار الهلال ، القاهرة وانظر سهير حلمى : أسرة محمد على ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣م .

وقد صعد نجم محمد على سريعًا ، نتيجة عدة مؤامرات دبرها ، بدأت بتحريض الجنود ضد خسرو باشا ، للمطالبة بدفع الرواتب المتأخرة للجنود ، وعندما رفض خسرو باشا دفع الرواتب ، ثار ضده الجنود وعزلوه ، وتولى بدلاً منه طاهر باشا قائد الفرقة الألبانية ، فصعد محمد على إلى منصب قائد الفرقة الألبانية وبعد ذلك قُتِل طاهر باشا ، وعُيِّن بدلاً منه أحمد باشا الجزايرلى .

وفى أثناء أزمة فيضان النيل ١٨٠٣م ، والتى ترتب عليها انخفاض الإنتاج الزراعى ، وانتشار الغلاء فى مصر ، بدأ البرديسى يفرض ضرائب على المصريين ، فثار الشعب ضده ، ووقف محمد على بجوار الشعب مما رفع أسهمه بين الزعامات الشعبية .

وبعد عزل البرديسى ، عُيِّن خورشيد باشا حاكمًا على مصر ، وبدأ فى سلسلة إجراءات أثارت غضب الشعب ، وهذه الإجراءات هى: فرض ضرائب باهظة على الشعب. استدعاء فرقة الدلاة للقضاء على الشغب فى مصر. ولكن الشعب ثار ضده. ووقف محمد على ثانية مع الشعب . فأرسل الشعب يطلب من السلطان العثمانى تعيين محمد على واليًا على مصر فى عام ١٨٠٥م . فصدر مرسوم بذلك وأصبح محمد على أول والٍ يُعيَّن طبقًا لإرادة شعبية ، وطبقًا لشروط أملاها الشعب عليه .

وقد استهلَّ محمد على حكمه لمصر بالتخلص من مشكلات واجهته بعد توليته الحكم وهى مشكلة المال ، والذى كان يحتاجه لدفع رواتب الجند . ومشكلة انجلترا والتى كانت تسعى جاهدة لدى السلطان لعزل محمد على ، على اعتبار أنه قد يصبح عائقًا فى سبيل تحقيق أحلامها فى مصر ، ولأنه عدو للمماليك حلفائها العملاء . وأيضًا محاولة السلطان عزله ، لأن السلطان يرفض أن يُفرض عليه والٍ وإنْ كان قد قَبِل فى البداية محمد على ، فعلى سبيل تهدئة خواطر الشعب ليس إلا ، وكان ينتهز الفرصة لعزله .

وقد تخلص محمد على من مشكلة المال عن طريق التبرعات ، التى قدمها له كبار التجار والأعيان ، وبالنسبة للسلطان ، والذى كان قد أصدر فرمانًا بنقل محمد على

إلى ولاية سالونيك باليونان فى عام ١٨٠٦م ، فقد استنجد محمد على بالزعامة الشعبية والتى طلبت من السلطان الإبقاء عليه ، فرضخ السلطان لهم ، وصدر فرمان بتثبيت محمد على واليًا على مصر فى نفس العام .

أما بالنسبة لانجلترا ، فقد استغلَّت قيام حرب بين تركيا وروسيا ، وحاولت إرسال حملة إلى مصر للسيطرة عليها ، وتُعرف باسم حملة (فريزر) عام ١٨٠٧م ، ولكن الشعب المصرى قاوم الحملة فى رشيد وانتصر عليها كما انتصر عليها مرة ثانية فى الحماد ، بينما كان محمد على فى الصعيد ، يحارب المماليك ، ولما سمع بقدوم الحملة الإنجليزية تقاعس عن الحضور ، حتى يتم وضوح الأمر ، ويعيد ترتيب حساباته بناء على نتيجة الحرب .

فلما سمع بانتصارات الشعب المصرى ، حضر إلى القاهرة ووقَّع صلحًا مع فريزر قائد الحملة ، وخرجت الحملة تجر أذيال الخيبة ، وفى نفس التوقيت توفى محمد بك الألفى ، عدو محمد على التقليدى ، فأصبح الأمر مُستتبًّا لمحمد على .

وقد بدأ محمد على يعمل على توطيد حكمه فى مصر ، ولتحقيق هذا العمل كان ينبغى عليه أن ينفرد بالحكم دون مشاركة من أحد ، ولذلك قرر التخلص من الجند الألبان ، والزعامة الشعبية ، والمماليك .

وكان سبب عداء محمد على للجند الألبان ، هو رفضهم الانصياع لأوامره نتيجة لروحهم المتمردة ، والتى ترفض التغيير ، ونتيجة لنظرتهم لمحمد على والتى لم تتَعدَّ فى نظرهم أن محمد على فرد منهم ، خدمه الحظ ووصل به إلى الحكم . ولذلك كان من المستحيل التعاون معهم ، ولذلك بدأ محمد على يتخلص منهم عن طريق إرسالهم للحروب فى شبه الجزيرة العربية ، أو حروب السودان ، أو إرسالهم للثغور البعيدة عن القاهرة مثل دمياط ، وأسوان .

وبالنسبة للزعامة الشعبية ، فقد استغل محمد على أزمة فيضان النيل عام ١٨٠٨م ، وما ترتب عليه من انخفاض الإنتاج الزراعى ، فقام ببعض الإجراءات مثل فرض ضرائب جديدة مثل التمغة على المنسوجات . وفرض ضريبة المرى على

أراضى الأوقاف ، وألزم الملتزمين بتقديم نصف العائد ، وهذه الإجراءات تعارضت مع مصالح بعض الفئات من الزعامة الشعبية وعندما طالبوا محمد على بتخفيف هذه الإجراءات قرر عزل بعض العلماء ونفيهم مثل السيد عمر مكرم الذى نُفى إلى دمياط ، أما بقية الزعامات الشعبية فقد لجأ لاستخدام سلاح الفتنة فى الإيقاع بينهم.

ولم يتبق لمحمد على فى سبيل توطيد حكمه سوى التخلص من المماليك ، والذين كانوا يسببون له إزعاجًا مستمرًا ، فانتهز فرصة سفر جيشه إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين ، فقرر عقد حفل فى القلعة لتوديع الجيش ، ودعا إليه زعماء المماليك ، وبعد انتهاء الحفل ، وأثناء خروج المماليك من القلعة أغلق عليهم أبواب القلعة ، وأمر الجند الألبان بإطلاق الرصاص عليهم ، حتى فَنِى معظمهم عدا أمين بك ، والذى سقط بحصانه من فوق أسوار القلعة .

والسبب الذى دعا محمد على للقيام بهذه المذبحة هو خوفه من أن يستغل المماليك فرصة ذهاب جيشه لمحاربة الوهابيين ، فيقومون بقتله ، وقد كان محقًّا فى ذلك ، فلو ظل المماليك بنفس قوتهم ، ولم يتم التخلص منهم لتوقفت عملية بناء مصر الحديثة ردحًا من الزمان .

فهؤلاء المماليك كان لا يُرْجى منهم أىُّ أمل للإصلاح ، ولم يستفيدوا من التجارب التى مرت بهم ، بل جعلوا من أنفسهم مراكز استقطاب للقوى المعادية لمصر ، فمنهم مَنْ كان يوالى انجلترا مثل محمد بك الألفى ، ومنهم من كان عميلاً لفرنسا مثل البرديسى ، ومنهم من كان عميلاً لتركيا مثل عثمان بك حسن .

كما أن المماليك قد استحبوا العيش الرغد ، على حساب الشعب المصرى ، ولم يحاولوا رد الجميل لهذه البلاد التى استضافتهم ، وهم أطفال مشردون ، وأعطتهم مالم يحصلوا عليه فى بلادهم الأصلية ، بل كانوا أشبه بالطيور الجارحة شكلاً ومضمونًا ، وبرعوا فى خطف اللقمة من حلوق الشعب المصرى ، وعاشوا أشبه برؤساء العصابات ، يمارسون البلطجة فى حق الشعب المصرى .

٣ ـ بناء الدولة الحديثة

أولاً : الإصلاح السياسى :

قبل عصر محمد على كان نظام الحكم مبنيًا على ثلاث سلطات كما عرفنا من قبل ، ثم فى عهد الحملة الفرنسية ، تغيَّر نمط الحكم ، ولو بقدر يسير ، فأصبحت هناك مجالات لمشاركة المصريين فى الحكم ، وذلك عندما قرر نابليون إنشاء ديوان عمومى ، وديوان خصوصى . وقد أكمل محمد على إدخال نظم سياسية جديدة منها إصداره القانون الأساسى فى عام ١٨٣٧م ، وكان يعتبر أول دستور ينظم العلاقة بين الدواوين الحكومية واختصاصاتها ، كما أنشأ محمد على عدة مجالس جديدة ، وهى :

(أ) الديوان العالى :

وقد حصر محمد على اختصاصات هذا الديوان فى التباحث مع أعضائه فى كل ما يتعلق بالمشروعات الحكومية ، وهو أشبه بمجلس الوزراء حاليًا ، كما أعطى محمد على لنائبه فى الديوان سلطات واسعة ، فى كل ما يتعلق بالحكومة .

(ب) الدواوين :

وهى تعتبر بمثابة وزارات ، فهناك ديوان للجهادية ، وديوان للمدارس ، وديوان للفابريقات (الصناعة)، وديوان التجارة، وديوان البحرية، وديوان الخارجية. وقد تحولت هذه الدواوين فيما بعد إلى نظارات ، ثم إلى وزارات فى عهد إسماعيل .

(جـ) المجلس العالى :

يعتبر بمثابة مجلس وزراء أيضًا ، وأُنشىء نتيجة التوسع فى أعمال الحكومة ، ويتكون من نظّار الدواوين ، واثنين من العلماء يختارهم شيخ الأزهر ، واثنين من التجار يختارهما نقيب التجار ، واثنين من الأعيان عن كل مديرية من المديريات ، واثنين كتبة للحسابات .

(د) المجلس الخصوصى :

وظيفة هذا المجلس ، تشريع اللوائح والقوانين ، وإصدار التعليمات لجميع المصالح ، ويصدر التعليمات للمجلس العمومى ، وعلى العموم قد تميزت هذه بأنها

مجالس صورية ، وإنما كان محمد على فى جوهره حاكمًا مطلقًا يمسك بكل السلطات فى يده .

ثانيًا : الإصلاح الاقتصادى :

اهتم محمد على بالإصلاح الاقتصادى ، وهدفه من ذلك بناء اقتصاد قوى يساعده على تحقيق طموحاته التى كان يرنو إليها ، وقد أدخل نظامًا اقتصاديًا جديدًا فى البلاد ، مبنيًا على سياسة الاحتكار ، وهى قيامه بتحديد أسعار بيع وشراء المحاصيل ، وتحديد أثمان المصنوعات ، ومن أمثلة الإصلاحات التى تمت فى مجال الاقتصاد :

(أ) الزراعة :

أعاد محمد على تنظيم ملكية الأراضى الزراعية ، حيث قسّم الأراضى إلى ثلاثة أنواع من الملكية ، وهى : ملكية كبيرة وخُصِّصت لأفراد أسرته ، وكبار قواده . والنوع الثانى هى الملكية المتوسطة ، وتنقسم بدورها إلى قسمين أراضى المسموح ، وتعادل ٥٪ من زمام كل قرية تُركت تحت تصرف العُمَد والمشايخ للإنفاق منها على موظفى الحكومة الزائرين لهم فى المهمات .

والنوع الثانى من الملكية المتوسطة هى أرض الوسية ، وتُركت فى يد الملتزمين أثناء حياتهم فقط . والنوع الثالث من الملكية هو: الملكية الصغيرة ، وهى مساحات من ثلاثة إلى خمسة أفدنة وُزِّعت على صغار الفلاحين .

أما عن مجال تطوير الزراعة ، فقد قام محمد على بتنظيم الرى عن طريق إنشاء القناطر الخيرية ، وعن طريق حَفْر الترع مثل ترعة المحمودية ، كما أدخل محمد على محاصيل نقدية مثل التبغ ، والقطن . وأرسل بعثات إلى أوروبا لتعلم الزراعة على أسس حديثة ، كما أمدَّ الفلاحين بالبذور ، وكافة مستلزمات الزراعة مقابل شراء المحصول منهم بالسعر الذى يحدده ، وتُخصم أثمان ما أخذه الفلاح من المحاصيل وغيرها ، ويترك للفلاح ما يكفيه لمدة عام ، والباقى يذهب لشونة الحكومة .

(ب) الصناعة :

اهتم محمد على بالصناعة ، ومظاهر الاهتمام هى: إدخال التعليم الصناعى عن طريق تدريب الصبية اليتامى فى مصانع الدولة . وإرسال البعثات لأوروبا للتعلم . ومن المظاهر أيضاً التى تدل على اهتمام محمد على بالصناعة إنشاء مصانع قطاع عام ، وخصص لها ديوان الفابريكات . كما أمد الصُّناع بالمواد الخام ، وشراء المنتجات منهم بالسعر الذى يحدده .

(جـ) التجارة :

كانت التجارة بنوعيها من أبرز اهتمامات محمد على ، فقد أنشأ توكيلات تجارية تبيع المنتجات المصرية لصالحه فى الموانئ الأوروبية ، وأنشأ أسطولاً تجاريًا للعمل على نقل التجارة عبر البحر الأحمر .

وقد ترتب على الإصلاح الاقتصادى عدة نتائج اجتماعية ، كان من أبرزها ظهور شرائح اجتماعية جديدة ، مثل كبار ملاك الأراضى الزراعية ، وظهور طبقة عمال الصناعة ، وانتهاء نفوذ طبقة التجار ، كما تضاءل نفوذ علماء الأزهر ، وانتهى نفوذ المماليك كطبقة حاكمة .

ولكن للأسف نتيجة ضغوط الدول الاستعمارية الأوروبية على محمد على . وقيام الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة بلطة ليمان عام ١٨٣٨م ، والتى كانت تنصُّ على حرية التجارة فى الولايات العثمانية، انتهت سياسة الاحتكار فى مصر ، وترتب عليها: إغلاق مصانع الدولة ، وتدهور الصناعات الصغيرة . كما تغير نظام ملكية الأراضى فأصبحت ملكية رقبة بدلاً من ملكية انتفاع ، كما أصبح المزارعون يزرعون ما يشاؤون من محاصيل ، كما دخل الأجانب فى مجال الاستثمار الزراعى .

ثالثًا : الإصلاح التعليمى :

اهتم محمد على بالتعليم ، وكان دافعه إلى ذلك الرغبة فى توفير كوادر تقود الدولة الحديثة ، وتوفير ضباط للجيش على قدر من الثقافة ، وقد انحصرت سياسة محمد على التعليمية فى مجالين ، وهما :

(أ) إرسال البعثات إلى أوروبا :

أرسل محمد على بعثات لأوروبا ، لتعلم العلوم الحديثة مثل الطب، والعسكرية، والزراعة ، وكانت معظم هذه البعثات تتجه إلى أوروبا ، وخصوصًا فرنسا صديقة محمد على ، ومن أبرز المبعوثين فى عهد محمد على ، الشيخ رفاعة الطهطاوى أول من أسس مدرسة للترجمة فى مصر (الألسن) .

(ب) إنشاء المدارس :

أنشأ محمد على المدارس العالية أولاً ، لتوفير كوادر قادرة على قيادة التعليم ، وكان الرافد الذى يمد محمد على بالمتعلمين هو الأزهر الشريف ، الذى قاد الحركة العلمية فى مصر ، ومن أشهر المدارس التى أنشأها محمد على مدرسة الفنون والصنائع ، مدرسة الطب ، ومدرسة المهندسخانة ، ومدرسة الألسن . ولعل أبرز ما يثبت مدى اهتمام محمد على بالتعليم قيامه بإنشاء ديوان خاص للمدارس فى عام ١٨٣٧م .

رابعًا: إنشاء الجيش والأسطول :

محمد على شخصية ذات طموح قوى ، فهو لم يكتف بكونه مجرد والٍ فقط ، بل كان يرنو ببصره لأنْ يصبح سلطانًا ، يقود امبراطورية ، وكان يدرك تمامًا مدى حاجة الحلم الذى يراوده بتكوين الامبراطورية للجيش ، ولذا اهتم بتطوير وإنشاء جيش حديث على النمط الأوروبى .

ولذلك استدعى الكولونيل (سيف) والذى عُرف بعد إسلامه باسم سليمان باشا الفرنساوى لتنظيم جيش على النمط الأوربى ، فاختار سليمان باشا أن يقيم أول مدرسة حربية فى أسوان ، والبعيدة عن جو المؤامرات والفتن ، وقد نجح فى تخريج دفعة من الضباط ، رغم المعاناة التى وجدها فى تعليمهم .

وبقى لمحمد على أنْ يقوم بتجهيز الجنود ، وكان يراعى فى ذلك عدم تجنيد الجند الألبان نظرًا لميلهم الطبيعى للتمرد ، وعدم طواعيتهم للأوامر العسكرية ، وكان يرفض تجنيد المصريين ، حتى لا يثوروا ضده ، وحتى يتفرغوا لأعمال الزراعة ،

ولذلك أحضر جندًا من السودان ، ولكن بعد فشل تجنيد السودانيين اضطر محمد على لتجنيد المصريين ، والذين أثبتوا كفاءة عالية أثناء تجنيدهم وحروبهم التى خاضوها .

أما عن الأسطول ، فقد أنشأ محمد على ترسانة لصناعة السفن فى الإسكندرية ، وجعل على رأسها مهندسًا فرنسيًا يعاونه رجل مصرى اسمه الحاج لطفى فى إدارة هذه الترسانة ، كما قام بإنشاء مدرسة بحرية لتخريج الضباط البحريين ، وقد أصبح هذا الأسطول مصدر إزعاج للدول الأوروبية ، والتى لم تهدأ حتى أتيح لها تحطيمه فى موقعة نوارين البحرية عام ١٨٢٧م .

وقد خاض الجيش المصرى عدة معارك ، قام بها الجنود المصريون وكان النصر حليفهم ، منها فتح السودان عام ١٨٢٠ ، ١٨٢٢م . حيث كانت دوافع هذا الفتح إحضار جند للجيش من أهل السودان ، ومطاردة المماليك الفارين للسودان ، وكشف منابع النيل ، وتنشيط التجارة بين البلدين ، وقد سيطر الجيش المصرى على السودان بعد عدة معارك ، كان من نتائجها ضم السودان لمصر ، وتعيين حكمدار على السودان .

ومن المعارك أيضًا التى نجح الجيش المصرى فى الانتصار فيها معركة المورة، وهى بلاد كانت خاضعة للسلطان العثمانى ، وقد ثارت ضد السلطان فاستنجد بمحمد على ، والذى أرسل بدوره جيشًا بقيادة إبراهيم باشا بن محمد على ، واستطاع القضاء على ثورة أهالى المورة ، وكان من أبرز نتائج هذه المعركة ضم جزيرة كريت لمصر .

وعلى رأس المعارك الهامة التى خاضها الجيش المصرى ، معركة نزيب فى عام ١٨٣٩م واستطاع المصريون الانتصار على الجيش التركى ، وتحطيمه تحطيمًا وصل إلى درجة إفنائه . وأصبح الجيش المصرى على أبواب استانبول ، وكاد أن يسقط الدولة العثمانية ، لولا تدخُّل الدول الكبرى ، وتوقيع اتفاقية لندن عام ١٨٤٠م . وما تلاها من فرمان ١٨٤١م . والذى أصبحت بمقتضاه مصر تُحكم وراثيًا من أفراد أسرة محمد على ، ولولا هذه الاتفاقية لأصبحت مصر تحكم كل الممتلكات العثمانية .

٤ ـ خلفاء محمد على

١ ـ عباس الأول :

تولى عباس طبقًا لنظام وراثة عرش مصر ، وأهم الأعمال فى عهده مدّ خطوط السكك الحديدية بين القاهرة والإسكندرية عام ١٨٥٦م ، وبين القاهرة والسويس عام ١٨٥٨م . كما قام بتحويل منطقة صحراء الحصوة إلى حى سكنى وهو العباسية ، وكانت ميوله السياسية تتجه إلى انجلترا .

٢ ـ سعيد :

من أشهر الأعمال التى تمت فى عهده توقيع عقد امتياز حفر قناة السويس ١٨٥٩م ، وكان العقد ينص على أن تقوم مصر بتقديم أربعة أخماس العمال اللازمين للحفر ، وتتنازل عن جميع الأراضى اللازمة للحفر ، واللازمة لإنشاء ترعة للمياه العذبة لرىّ أراضى القناة .

كما ستكون مدة العقد تسعة وتسعين عامًا ، مقابل أن تُقسم الأرباح بنسبة خمسة عشر بالمائة لمصر ، وعشرة بالمائة لمؤسسى الشركة ، وخمسة وسبعين بالمائة مصاريف تشغيل ، وبُدِئ فى الحفر عام ١٨٥٩م ، وقدمت مصر العمال اللازمين للحفر .

ومن أشهر أعمال سعيد . تحديد فترة الخدمة العسكرية للمجندين ، مع تجنيد أبناء العُمَد والأعيان ، وكانوا يُعفون من التجنيد ، ويُحسب له أيضًا أنه أول مَنْ رقَّى الضباط المصريين للرتب الأعلى فى الجيش ، مع السماح لهم بالالتحاق بالمدرسة الحربية .

٣ ـ إسماعيل[1] :

تولى الحكم بعد وفاة سعيد ، وفى عهده تم افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م ، بعد أن قام بتعديل شروط عقد امتياز قناة السويس ، واسترد الأراضى التى استولت

(١) انظر الرافعى : عصر إسماعيل ، دار الهلال ، القاهرة .

عليها شركة قناة السويس ، وألغى السخرة فى أعمال حفر القناة ، ودفع مقابل ذلك مبلغ ثلاثة ملايين جنيه تعويضًا للشركة بسبب تعديل عقد قناة السويس . وقد أقام حفلاً لافتتاح القناة دعا إليه كل ملوك وأمراء أوروبا ، وبلغت تكاليف الحفل مليونًا ونصف المليون جنيه .

كما يعتبر إسماعيل من أول الحكام الذين أدخلوا الحكم النيابى الصحيح فى مصر عن طريق إنشاء مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦م ، وكان أعضاؤه من كبار ملاك الأراضى الزراعية ، كما أدخل نظام المجالس المحلية فى المديريات ويأتى أعضاؤها بالانتخاب والتعيين ، كما أنشأ المحاكم المختلطة .

وقد حاول إسماعيل التوسع فى استقلال مصر عن طريق شراء الفرمانات المؤدية لذلك ، منها فرمان ١٨٦٦م لجعل ولاية مصر فى أبنائه الذكور فقط ، ومنها فرمان ١٨٦٧م والذى حصل بمقتضاه على لقب خديوى . ثم توجت بفرمان ١٨٧٣م . والذى أعطى مصر استقلالاً فى كل أمورها عدا عدم عقد معاهدات سياسية مع الدول ، واستمرار دفع الجزية للدولة العثمانية ، والتى أصبحت سبعمائة وخمسين ألفًا من الجنيهات .

وقد نتج عن هذه الفرمانات زيادة عدد الجيش إلى ثلاثين ألف جندى ، بعد أنْ كان ثمانية عشر ألفًا بعد صدور فرمان ١٨٤١م ، وأصبحت مصر تضرب النقود باسمها ، وأصبح من حق إسماعيل إعطاء رتب مدنية .

ويأتى على رأس أعمال إسماعيل فى مصر التوسع تجاه الجنوب ، حيث شدد سيطرته على السودان ، وضمَّ إقليم دارفور ، والصومال . وحارب الحبشة ولكنه لم يُوفق ، وقد أصبح لمصر امبراطورية إفريقية ، كما قام إسماعيل بمحاربة تجارة الرقيق ، حتى قضى عليها .

ومن إصلاحات إسماعيل فى مجال الحكم والإدارة تقسيم مصر إلى محافظات ومديريات ، وحوَّل النظارات إلى وزارات ، كما تم فى عهده تمصير معظم الوظائف

الإدارية ، فأصبحت معظم المديريات يتولاها مديرون مصريون ، بينما كان فى عهد محمد على يتولاها الأتراك .

كما قام إسماعيل بتطوير القاهرة ، فقام برصف الطرق ، وأقام دارًا للأوبرا ، ومَدَّ خطوط الترام ، وأضيئت القاهرة بمصابيح الغاز ، كما أنشأ الحدائق والمتنزهات مثل حديقة الأزبكية ، ومد خطوط المياه النقية إلى المنازل ، وأنشأ سلسلة من القصور ، وبدأ الناس فى عهده يرتدون الملابس الافرنجية

كما كان لإسماعيل أيضًا اهتمامات تعليمية وثقافية ، ففى عهده أُنشئت أول مدرسة لتعليم البنات فى العالم الإسلامى (المدرسة السَّنية) ، وأيضًا أُنشئت فى عهده الجمعية الخيرية الإسلامية لتعليم أبناء الفقراء المسلمين ، وأيضًا زاد التعليم الأجنبى فى عهده ، وأعاد إنشاء مدارس عسكرية واهتم بالتثقيف العسكرى ، فأنشأ الجريدة العسكرية ، وكان رائد التعليم فى عهده على باشا مبارك .

أما عن الإنجازات الثقافية فى عهده فهى : قيامه بإنشاء جمعية المعارف فى عام ١٨٦٨م ، وكان الغرض منها نشر الثقافة العربية والإسلامية ، وقد قامت الجمعية بنشر العديد من أمهات الكتب فى كافة المجالات ، كما تم فى عهده أيضًا إنشاء متحف للآثار المصرية .

وظهرت عدة صحف ما زالت موجودة حتى الآن مثل صحيفة الأهرام ، والوطن ، وروضة المدارس . وكان من نتائج هذه النهضة الثقافية ارتقاء مستوى المتعلمين ، وخصوصًا طبقة الموظفين .

وقد شهد عهد إسماعيل أحداثًا خطيرة ، أثرت على مجرى التاريخ المصرى ، ولعل من أبرزها التدخل الأجنبى فى شئون مصر ، والذى أدى فى النهاية لوقوع مصر تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزى .

وقد كان سبب هذا التدخل هو أزمة الديون ، والتى حدثت فى عهد إسماعيل بسبب إنفاقه الأموال فى التعويض الذى دفع لشركة قناة السويس (ثلاثة ملايين من

الجنيهات) وأموال حفل افتتاح قناة السويس (مليون ونصف) . وكما أنفق أيضًا على المشروعات العملاقة التى قام بها مثل تحديث القاهرة ، وإقامة سلسلة من القصور الفاخرة لإقامته .

وقد اتخذ التدخل الأجنبى فى مصر ، نتيجة أزمة الديون ، عدة صور منها إرسال بعثة كيف لدراسة الأحوال المالية فى مصر ، وتأسيس صندوق الدَّيْن وقدوم لجنة التحقيق إلى مصر ، وما ترتب عليها من نتائج ، كان من أبرزها تشكيل حكومة برئاسة نوبار باشا الأرمنى، وعضوية وزير إنجليزى للمالية ، ووزير فرنسى للأشغال، مما ترتب على هذه الأمور قيام حركة الضباط الأولى١٨٧٥م . فاضطر إسماعيل لعزل وزارة نوبار ، كما أدَّت تداعيات الأحداث فى النهاية لعزل إسماعيل عام ١٨٧٥م ، ونفيه لاستامبول ، وتعيين ابنه توفيق بدلاً منه .

٤ـ عهد توفيق :

بدأ توفيق عهده بسلسلة من الإجراءات أثارت غضب الشعب منها : عزل وزارة شريف وتعيين نفسه رئيسًا للوزراء ، وإعادة المراقبة الثنائية ، وزاد من اختصاصات المراقبين الإنجليزى والفرنسى ، واللذان قدما مشروع بيع حصة مصر فى قناة السويس ، ووضع أملاك الدومين ، والدائرة السنية رهنًا للدين ، وإصدار قانون تصفية الديون ، وقانون المقابلة . واللذان ترتب عليهم اضطراب أحوال البلاد الاقتصادية ، ونتيجة للضغط الشعبى تخلى توفيق عن رئاسة الوزراء ، وعين رياض باشا رئيسًا للوزراء .

ولعلَّ من أبرز الأحداث التى حدثت فى عهد توفيق ، قيام الثورة العرابية ، والتى قادها الزعيم أحمد عرابى ، تحقيقًا لمطالب الشعب المصرى ، وتعتبر هذه الثورة هى الحركة الثانية للجيش بعد الحركة التى حدثت فى أواخر عصر إسماعيل .

وكان من أسباب الثورة العرابية : استمرار التدخل الأجنبى فى شئون مصر الداخلية ، وصدور قانون المقابلة ، والذى تسبَّب فى تدهور أحوال المزارعين ،

بالإضافة لأسباب تتعلق بالجيش منها : رفض وزير الحربية الجركسى عثمان ، رفض ترقية الضباط المصريين ، وإيثار العناصر التركية والجركسية عليهم فى الترقيات ، وأيضًا نقل الأميرالاى عبد العال حلمى لوزارة الحربية بدلاً من قيادة آلاى طرة .

وقد بدأت مقدمات الثورة عندما رفع زعماؤها عريضةً لتوفيق يطلبون فيها عزل عثمان رفقى من وزارة الحربية ، وإصلاح أحوال الجيش ، ولكن توفيق قام بوضع أحمد عرابى ورفاقه فى السجن بثكنات قصر النيل ، فقام الضباط بحصار الثكنات وأفرجوا عن أحمد عرابى ورفاقه بقوة السلاح .

وفى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١م . قام الجيش بمظاهرة عابدين ، وعرض فيها على توفيق مطالب الشعب والجيش ، وهى :

١ - إسقاط وزارة رياض باشا .

٢ - إصدار دستور للبلاد .

٣- زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندى .

فاستجاب توفيق لمطالب الجيش ، وتم عزل رياض باشا ، وتشكيل حكومة برئاسة شريف باشا . وعيّن فيها محمود سامى البارودى وزيرًا للحربية ، ولكن الدولتين انجلترا وفرنسا أرسلتا مذكرة مشتركة أعلنا فيها وقوفهما بجوار توفيق .

ونتج عن هذه المذكرة استقالة وزارة شريف ، وتعيين وزارة جديدة برئاسة محمود سامى البارودى ، وعُيِّن فيها عرابى وزيرًا للحربية ، وقامت الوزارة بعدة إصلاحات للجيش ، وأصدرت دستورًا وأعطت النواب سلطة حق مناقشة الديون. ولكن تدخُّل انجلترا وفرنسا عن طريق إرسال مذكرة مشتركة يطلبان فيها عزل وزارة البارودى. ونَفْى أحمد عرابى خارج البلاد كان سببًا داعيًا لاستقالة حكومة البارودى ، وظل عرابى وزيرًا للحربية .

وقد حدثت مجموعة أحداث أدت إلى التعجيل باحتلال مصر ، وهذه الأحداث هى قيام مشاجرات بين السكان الوطنيين فى الإسكندرية والأجانب المقيمين بالمدينة : نتيجة الاختلاف على أجرة ركوب الحمار ، والذى رفض الراكب المالطى دفعها إلى المصرى ، وقد استغلت انجلترا هذه الحادثة ودعَتْ لعقد مؤتمر الأستانة .

مؤتمر الأستانة :

عُقد هذا المؤتمر بتحريض من انجلترا ، وحضرته الدولة العثمانية ، وفرنسا ، وبعض الدول الأوروبية لمناقشة الأوضاع فى مصر ، وقد تعهدت الدول الحاضرة فى المؤتمر بعدم التدخل فى شئون مصر ، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وهى العبارة التى أضافها مندوب انجلترا .

وقد اتخذت انجلترا من قيام أحمد عرابى ، بتحصين مدينة الإسكندرية وادعت أن أحمد عرابى يهدد الأمن ، والسلم العالمى . فأرسل قائد الأسطول الإنجليزى رسالة تحذير إلى أحمد عرابى بوقف التحصينات ، ولما رفض أحمد عرابى ، قام الأسطول الإنجليزى بضرب مدينة الإسكندرية واحتلها .

أما أحمد عرابى فرفض مقابلة توفيق ، وشكَّل مجلسًا عرفيًّا لإدارة البلاد ، وانسحب إلى مدينة كفر الدوار ، وقام بتحصينها ، وعند كفر الدوار انتصر المصريون على الإنجليز ، فاضطر الإنجليز للدخول إلى مصر عبر قناة السويس ، فحاول عرابى ردم القناة ، ولكن ديليسبس أقنعه بحياد القناة .

وبعد ذلك سمح للسفن الإنجليزية بالمرور ، وتقابل الجيش المصرى مع الإنجليزى فى موقعة القصاصين ، ولكن تمكن الإنجليز من إحراز النصر على المصريين ، ثم حدثت المعركة الفاصلة ، وهى معركة التل الكبير ، وأحرز الإنجليز فيها أيضًا الانتصار، وتقدم الإنجليز تجاه مدينة القاهرة ، واحتلوها فى عام ١٨٨٢م، وأُلقى القبض على أحمد عرابى ، وحُوكم أمام محكمة عسكرية قضت بإعدامه ، ثم خُفِّف الحكم بنفيه إلى جزيرة سرنديب (سيلان حاليًا) .

ولعل القارئ يتساءل عن أسباب هزيمة الجيش المصرى فى معركة التل الكبير ، وأسباب الهزيمة تعود إلى تفوق الأسلحة الإنجليزية ، وخيانة قبائل البدو لجيش عرابى ، وإعلان السلطان العثمانى عصيان عرابى مما أضعف من عزيمة الجنود .

بالإضافة لعدم توحد الاتجاهات تجاه عرابى فبعض الاتجاهات ترى أن عرابى يجب عليه محاربة الإنجليز فقط ، وعليه أن يكون موالياً للخديوى . والاتجاه الآخر يرى أن سبب البلاء هو الخديوى والإنجليز ، وبناء عليه يجب محاربتهما .

وقد اتبعت انجلترا سياسة فى مصر مبنية على استخدام أسلوب الحكم الغير مباشر فى مصر ، مع الإبقاء على تبعيتها للدولة العثمانية خوفًا من إثارة غضب العثمانيين ، كما أصدرت القانون الأساسى عام ١٨٨٣م لرسم ملامح السياسة الإنجليزية فى مصر .

وعيَّنت اللورد كرومر مندوبًا ساميًا فى مصر ، وأعطيت له صلاحيات واسعة ، كما قامت انجلترا بحلِّ مجلس النواب واستبدال مجالس صورية بدلاً منه ، وهى الجمعية التشريعية ، ومجلس شورى القوانين ، والمجالس المحلية .

كما سُرِّحت أعداد كبيرة من الجيش الذين شاركوا فى الثورة العرابية ، وجعلت الجيش غير قادر على الدفاع ، باتباع أساليب تدريب لا تمكنه من أداء واجباته المنوط بها .

٥ ـ عهد عباس حلمى الأول :

تولَّى بعد توفيق ، وفى عهده ظهرت الحركة الوطنية لمناهضة الإنجليز بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وقد استهل عباس حلمى حكمه بالصدام مع الإنجليز حينما عزل رجل الإنجليز مصطفى فهمى من رئاسة الوزراء ، وتعيين حسين فخرى بدلاً منه ، فاعترض كرومر على هذا التعيين ، فاضطر عباس للمهادنة ، فتمَّ تكليف رياض باشا بالوزارة .

أما من حيث علاقته بالشعب ، فقد تقرَّب عباس حلمى للشعب ، ومن مظاهر هذا التقارب الإفراج عن مسجونى الثورة العرابية ، والإفراج عن عبد الله النديم زعيم وخطيب الثورة العرابية ، وقد كان من نتائج هذا التقارب بثّ الروح فى نفوس الشعب ، ضد الاحتلال الإنجليزى ، وتبلور ذلك فى ظهور صحف مثل العروة الوثقى للإمام محمد عبده ، وظهور جمعيات سرية لمحاربة الإنجليز مثل (جمعية الانتقام) .

٥ ـ ظهور مصطفى كامل

من الشخصيات الوطنية ، والتى قادت الكفاح ضد الإنجليز ، شخصية مصطفى كامل ، والذى انتهج فى كفاحه سياسة مبنية على التنسيق مع عباس حلمى فى مواجهة الإنجليز ، وتنسيق العمل مع السلطان العثمانى ، والاتصال بالجمعيات ، والصحافة الفرنسية ، لفضح ممارسات الاستعمار البريطانى فى مصر .

وقد قام مصطفى كامل بإصدار جريدة اللواء فى عام ١٩٠٠م . وجريدة العالم الإسلامى فى عام ١٩٠٥م . وكان الغرض من إصدار الجريدتين مواجهة الاستعمار الإنجليزى ، كما دعا مصطفى كامل لإنشاء الجامعة الأهلية ، وأسس الحزب الوطنى فى عام ١٩٠٧م .

ولكن الأمر لم يكُنْ سهلاً أمام مصطفى كامل ، نتيجة سياسة الوفاقات والتحالفات ، والمصالح المشتركة بين الدول الأوروبية ، ولذلك تأثر مصطفى كامل بتوقيع الاتفاق الودى عام ١٩٠٤م بين انجلترا وفرنسا مما اضطر فرنسا للتخلى عن مناصرة مصطفى كامل ، كما أن تراجع عباس حلمى عن مناصرة الحركة الوطنية أدى لضعف موقف مصطفى كامل .

حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦م :

دنشواى قرية من قرى محافظة المنوفية ، وقد قام مجموعة من الضباط الإنجليز برحلة لصيد الحمام ، فأصابت إحدى الرصاصات سيدة مصرية ، فتجمع الأهالى ، وهرب الإنجليز وأثناء هروبهم هلك أحدهم بضربة شمس . فشكلت محكمة صورية برئاسة أحد عملاء الإنجليز ، وقضت بإعدام خمسة ، وجلد خمسة ، ومعاقبة اثنى عشر بالأشغال لمدد متفاوتة . فبدأ مصطفى كامل حملته فى الصحف ، ومخاطبة الضمير العالمى . ونجح فى ذلك ، حيث قامت انجلترا بعزل كرومر ، والإفراج عن مسجونى دنشواى .

وقد تُوفى مصطفى كامل (رحمه الله تعالى) فى عام ١٩٠٨م وحمل لواء الكفاح من بعده الزعيم محمد فريد . ومن أقوال مصطفى كامل الوطنية (لو لم أكُنْ مصريًا ، لوددتُ أن أكون مصريًا) . وأيضًا (بلادى - بلادى - لكِ حبى ، أنت الأمل يا مصر) .

محمد فريد

كان نائبًا لمصطفى كامل ، وتولى رئاسة الحزب الوطنى بعد وفاته ، وكان محمد فريد يطالب بجلاء الإنجليز عن مصر ، وإصدار دستور للبلاد ، وإنشاء نقابات للعمال ، وقد واجهت محمد فريد عدة أحداث ، أثَّرت على مسيرته الكفاحية وهى إصدار قانون المطبوعات عام ١٩٠٩م ، والذى اعتبر المقالات السياسية التى تهاجم الإنجليز جناية ، وكانت من قبل تُعتبر جنحة ، ولكن هذا القانون لم يُوهِن عزيمة محمد فريد ، وإنْ كان قد أدى لسجنه لمدة ستة أشهر .

أما الحدث الثانى فهو محاولة انجلترا ، مدّ امتياز قناة السويس فتصدى لهذا المشروع محمد فريد ، وهاجم الفكرة ، وكان من نتائج هذا الصمود اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالى ، الذى كان يحاول مدَّ هذا الامتياز تنفيذًا لرغبة انجلترا .

وقد تم سجن محمد فريد ستة أشهر ، وذلك بعد قيامه بكتابة مقدمة لديوان وطنيتى ، حثّ فيها الشعب على حب الأوطان ، وبعد خروجه من السجن ، سافر إلى ألمانيا ، وظل يكافح ، وينفق من أمواله حتى صار فقيرًا ، وقد أصابه المرض ، وتوفى (رحمه الله تعالى) فى ألمانيا ، ودُفن هناك . وقد تبرع الأعيان المصريون لإحضار جثمان محمد فريد من ألمانيا ، وأُعيد دفن الجثمان فى مصر . (رحم الله سبحانه وتعالى محمد فريد رحمةً واسعة) .

٦ ـ الحرب العالمية الأولى وأثرها على مصر
(١٩١٤ـ ١٩١٨م)

اندلعت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م ، وكانت بين طرفين وهما مجموعة دول الوفاق (انجلترا – فرنسا – إيطاليا – روسيا) . ضد مجموعة دول الوسط (ألمانيا – النمسا – المجر – الدولة العثمانية) . وكان سبب هذه الحرب هى اغتيال ولى عهد النمسا فى مدينة صربيا ، فأعلنت النمسا الحرب على صربيا ، ووقف الروس بجوار صربيا ، وبالتالى أيدت انجلترا روسيا ، أما الدولة العثمانية فقد دخلت الحرب أملاً فى استرداد ولاياتها التى سُيطِر عليها من قِبَل فرنسا وانجلترا .

وقد قامت انجلترا بعدة إجراءات فى مصر ، أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهذه الإجراءات كانت ترغب من ورائها ضمان حيادية مصر أثناء الحرب ، فقد عزلت عباس حلمى الثانى من الحكم ، وعيَّنت بدلاً منه (حسين كامل) سلطانًا على مصر ، مع إلغاء السيادة العثمانية على مصر .

وكان الغرض من ذلك إيجاد سلطتين فى العالم الإسلامى ، والانتقام من تركيا لاشتراكها فى الحرب ، كما أعلنت انجلترا الأحكام العرفية فى مصر ، واستولت على المحاصيل والدواب خدمة للمجهود الحربى ، وكوَّنتْ فيلقًا من العمال المصريين للعمل على مدِّ خطوط السكك الحديدية ، وإنشاء الطرقات وعطلتْ مصالح المصريين .

وقد انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار دول الوفاق على دول الوسط ، وقد انضمت الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى دول الوفاق وأعلن رئيسها ويلسون مبادئه، والتى كان منها حق تقرير المصير للشعوب المحتلة ، والتى ساعدت دول الوفاق فى الحرب العالمية الأولى .

ثورة ١٩١٩م [١]

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م ، وانطلاقًا من مبدأ الرئيس الأمريكى ويلسون ، وهو حق كل شعب فى تقرير مصيره ، ذهب وفد مصرى مكوَّن من سعد زغلول ، وحمد الباسل ، وإسماعيل صدقى إلى دار (ونجت) المندوب السامى البريطانى فى مصر ، للسماح لهم بالسفر إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح .

ولكن السيرونجت رفض بحجة أن سعد زغلول ليس وكيلاً عن الأمة ، فبدأ سعد زغلول حملة جمع التوكيلات ، والتى نجح من خلالها فى الحصول على توكيلات تتيح له التفاوض نيابةً عن المصريين ، وعندما ذهب بها إلى دار المندوب السامى لعرضها عليه . أمر بنفى سعد زغلول ورفاقه إلى جزيرة مالطة ، ومن هنا اشتعلت ثورة ١٩١٩م .

وقد اشتعلت الثورة فى جميع أنحاء مصر ، وشارك فيها المسلمون والمسيحيون ، والنساء ، والأطفال ، والشباب ، وطلاب المدارس والعمال ، والفلاحون . وانتشرت الثورة فى جميع أنحاء مصر ، وقد حاولت انجلترا التصدى للثورة مرة بالقوة المسلحة، ولكنها فشلت فلجأت لسلاح الفتنة وقالت : إنها ثورة متعصبين مسلمين ، ولكن المسيحيين المصريين اشتركوا فى الثورة ، وكان اشتراكهم ردًا على ادعاءات انجلترا الكاذبة ، بأنهم مضطهدون ، وأحيانًا تدعى انجلترا أن زعماء ثورة ١٩١٩م . كانوا شيوعيين .

ولكن كل هذه الدعاوى لم تجد آذانًا مُصغية لدى المصريين ، بل واصل الأهالى الثورة ، لحدِّ إثارة إعجاب العالم ، والذى كان يرى كيف كان الشعب المصرى يتحدى بريطانيا ، والتى كانت منتصرة فى الحرب العالمية الأولى ، مما أثار إعجاب العالم كله بشجاعة هذا الشعب .

---

(١) انظر : عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩م .

وتحت ضغط الثورة اضطرت انجلترا ، للإفراج عن سعد زغلول ، والسماح له بالسفر لمؤتمر الصلح فى باريس ، ولكن مؤتمر الصلح خيَّب آمال المصريين حيث وافقت الدول الأوروبية على الحماية الإنجليزية على مصر ، كما قامت انجلترا بإرسال لجنة (ملنر) لمفاوضة المصريين .

وبعد عودة الوفد من باريس ، تجددت الثورة مرة ثانية ، ونفى سعد زغلول إلى جزيرة (سيشل) فى المحيط الهندى ، كما فشلت المفاوضات مع عدلى يكن رئيس الوزراء ، فاستقال ، وتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة عبد الخالق ثروت ، وفى عهد هذه الوزارة صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م .

تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م :

من أهم البنود التى نص عليها التصريح إلغاء الحماية البريطانية على مصر ، واعتبارها دولة مستقلة ، تهيئة البلاد للحكم الدستورى وإلغاء الأحكام العرفية ، ولكن التصريح شمل أربعة تحفظات وهى : تأمين مواصلات بريطانيا فى مصر ، الدفاع عن مصر ضد أىِّ هجوم ، حماية الأقليات فى مصر ، استمرار أوضاع السودان كما هو عليه.

وقد أثار التصريح جدلاً منذ صدوره ، فقد اعتبره الشعب استقلالاً صوريًّا بسبب وجود التحفظات الأربعة ، والتى أصبحت نقاطًا للمجادلة ، ودخلت الحكومات المصرية فى مفاوضات مع انجلترا ، لتعديل هذه الشروط . وسواء اختلف أو اتفق الشعب مع التصريح ، إلا أنه ترتبت عليه نتائج هامة ، وهى صدور دستور ١٩٢٣م .

وقد أشاع صدور هذا التصريح نوعًا من الهدوء والأمان فى مصر، ولو إلى حين، كما ترتب على هذا التصريح عودة وزارة الخارجية مرة ثانية إلى مصر .

دستور ١٩٢٣م :

شُكِّلت لجنة من ثلاثين عضوًا لوضع دستور لمصر ، وصدر الدستور فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣م ، وأهم ما نص عليه الدستور الجديد هو أن الأمة هى مصدر

السلطات ، وأن الملك يملك ولا يحكم ، ويمارس سلطته من خلال الوزارة ، كما أن له حقَّ إعفاء الوزراء من مناصبهم . وله أيضًا حق حلّ البرلمان .

كما نصّ الدستور على قيام برلمان مكوّن من مجلسين ، وهما مجلس النواب ، وأعضاؤه منتخبون ، وهو الذى يحق له سحب الثقة من الوزراء ومراقبة أعمال الوزارات ، ومجلس شيوخ يتكوَّن من ثلاثة أخماس أعضائه بالانتخاب ، والباقى بالتعيين لمدة عشر سنوات ، كما اعتبر الدستور أن السلطة القضائية مستقلة ، ولا يتدخل فيها أحد .

وكان من نتائج دستور ١٩٢٣م إجراء انتخابات جديدة ، فاز بها حزب الوفد ، وشكَّل سعد زغلول أول وزارة منتخبة فى تاريخ مصر ، عُرِفت باسم وزارة الشعب ، وقد وُجِّه نقد كثير لدستور ١٩٢٣م . أنه أعطى للملك حق حلِّ البرلمان ، وإقالة الوزارة ، مما جعل السلطة التشريعية تحت رهن إشارة الملك ، ولكن كانت هناك جوانب إيجابية منها تمصير الوظائف ، وإلغاء وظائف المستشارين الأجانب .

وقد بدأ سعد زغلول عهد وزارته فى الدخول مع الإنجليز فى مفاوضات حول نقاط أربعة ، وهى التحفظات التى جاءت فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م والنقاط الأربعة هى : الاستقلال التام ، وجلاء الإنجليز عن البلاد ، وقيام مصر بمسئوليتها فى حماية قناة السويس ، وحرية مصر فى رسم سياستها الخارجية ، وحريتها فى تولِّى شئون الأقليات والأجانب ، ولكن بريطانيا رفضت هذه المطالب .

حادثة السير لى ستاك :

ملخص هذه الحادثة هى قيام مجموعة من الشباب الثوار ، باغتيال لى ستاك سردار الجيش المصرى ، وحاكم السودان فى القاهرة ، فاستغلت انجلترا هذا الحادث وأرسلتْ إنذارًا لحكومة سعد زغلول يتضمن أربعة بنود ، وهى :

١ - تدفع مصر غرامة مقدارها نصف مليون جنيه .

٢ - سحب القوات المصرية ، والموظفين من السودان .

٣- زيادة الأراضى المزروعة قطنًا فى السودان .

٤ - تشديد العقوبة على قتلة السردار .

والمتتبع لهذا الإنذار يجد فيه تعنتًا ، فبالنظر إلى البند الثانى ، وهو سحب الموظفين والجيش من السودان ، يرى أن انجلترا تحاول الانفراد بالسودان . والبند الثالث الذى ينص على زيادة مساحة الأراضى المزروعة قطنًا فى السودان . يوضح أن انجلترا تريد ضرب الاقتصاد المصرى ، ومن أجل هذه الأسباب قدم سعد زغلول استقالته .

وقد تولَّى بعد سعد زغلول أحمد زيوار رئيسًا للوزراء ، فاستجاب لمطالب الإنذار الإنجليزى ، وقد حاول أعضاء البرلمان طرح عدم الثقة فى حكومة أحمد زيوار وعقدوا اجتماعًا فى فندق الكونتنتال ، فقام الإنجليز بإرسال قطع بحرية وهددوا بضرب مدينة الإسكندرية ، وحتى لا يتكرر الأمر كما حدث مع الثورة العرابية رفض سعد زغلول العودة لمنصب رئيس الوزراء . وقد توفى سعد زغلول (رحمه الله تعالى) فى أغسطس عام ١٩٢٧م ، وخلفه فى زعامة الوفد مصطفى النحاس باشا .

وقد دخلت البلاد بعد وفاة سعد زغلول فى دوامة حكومات الأقليات ، فشكِّلت وزارات ، مرة برئاسة عدلى يكن ، ومرة برئاسة عبد الخالق ثروت ، والذى دخل فى مفاوضات مع تشمبرلين ، كما شهدتْ البلاد تشكيل حكومات إئتلافية برئاسة مصطفى النحاس ، ولكنها انهارت تحت شدة وطأة مناورات الملك ، وأُقيلت عام ١٩٢٨ .

وتشكلت وزارة برئاسة محمد محمود عطلت الحياة النيابية ، واضطربت أحوال البلاد فشكلت حكومة برئاسة مصطفى النحاس بعد إجراء انتخابات ، ولكن الملك عاملها معاملة الخصم ، فاضطر النحاس لتقديم استقالته .

وكانت أخطر الحكومات التى شُكِّلت فى مصر ، حكومة إسماعيل صدقى ، والذى ألغى دستور ١٩٢٣م ، واستبدل به دستور عام ١٩٣٠م ، مما أدى لإثارة

غضب الشعب ، فنظم المظاهرات ، والتى حدث من خلالها صدام بين الشعب ، والشرطة . واتجه إسماعيل صدقى لاستخدام أساليب البطش ، ولكن كلّ مساعيه باءت بالفشل ، فاستقال فى عام ١٩٣٣م ، وأعيد العمل بدستور ١٩٢٣م .

وقد حدثت متغيرات دولية كان لها الأثر على مصر ، وهى قيام إيطاليا فى عام ١٩٣٥م بغزو الحبشة ، وأصبحت تهدد انجلترا من الشرق ، حيث كانت إيطاليا تحتل اريتريا ، والصومال ، فأصبح الوجود البريطانى فى السودان مهددًا بالخطر ، كما كانت تحتل إيطاليا ليبيا منذ عام ١٩١١م .

وبذلك أصبحت بريطانيا مهددة بالخطر من جهة الغرب ، مما أدى لتوقع بوادر حرب عالمية جديدة ، مما حدا ببريطانيا أن تحاول إيجاد صيغة جديدة للتعامل مع مصر ، فبدأت تفكر فى طرح مشروع معاهدة جديدة ، تنظم من خلالها العلاقات المصرية البريطانية ، فكان مشروع معاهدة ١٩٣٦م .

معاهدة ١٩٣٦م :

كانت الأسباب الداعية لتوقيع هذه المعاهدة ، هى بشائر الحرب العالمية الثانية ، وقد عُقدت لجنة للتفاوض مع انجلترا لتوقيع هذه المعاهدة ، وقد نصَّتْ المعاهدة على بنود ، وهى :

١ - إنهاء الاحتلال الإنجليزى لمصر مع بقاء قوات إنجليزية فى قاعدة قناة السويس.

٢ - عودة الجيش والموظفين المصريين إلى السودان .

٣ - تساعد انجلترا مصر على التخلص من الامتيازات الأجنبية .

٤ - تتولى انجلترا تدريب الجيش المصرى .

٥ - تتعهد مصر بتقديم مساعدات لانجلترا أثناء الحرب .

٦ - مساعدة مصر على الانضمام لعصبة الأمم .

٧ - حرية مصر فى توقيع أية معاهدات لا تتعارض مع هذه المعاهدة .

وقد تعرضت هذه المعاهدة لنقد ، وأيضًا انقسم المصريون تجاهها إلى فريقين ، وهما فريق معارض يرى أن مصر اعترفت بالاحتلال الإنجليزى فى هذه المعاهدة ، وأنها معاهدة أبدية . بينما الفريق المؤيد يرى أنها اعتراف من انجلترا باستقلال مصر ، وأن المعاهدة حققت مكاسب وهى عودة الجيش والموظفين للسودان .

وقد ساعدت المعاهدة مصر فعلاً فى إلغاء الامتيازات الأجنبية ، والتى أُلغيت فى مؤتمر مونترو بسويسرا عام ١٩٣٧م ، كما أن إبعاد العناصر الأجنبية من البوليس المصرى يعتبر من مكتسبات المعاهدة .

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م . قدَّمت مصر مساعدات لانجلترا وحلفائها أثناء الحرب ، وقامت بإنشاء العديد من الطرق للمجهود الحربى البريطانى ، وتُعرف هذه الطريق حتى الآن باسم طريق المعاهدة ، وهى طريق مصر / السويس . مصر / الإسماعيلية . وكان من نتيجة تقديم المساعدات لانجلترا. أنْ تعرضت مصر لغارات من الألمان وحلفائهم .

وفى أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية، دخل الملك فى صراع مع حكومة الوفد، أدى إلى عزل مصطفى النحاس من الحكومة فتدخلت انجلترا لإعادة النحاس للحكم فيما عُرف باسم حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢م ، عندما قامت الدبابات الإنجليزية بحصار قصر عابدين ، واجبار فاروق على إعادة حكومة النحاس ، أو عزله شخصيًّا من الحكم ، فأعاد الملك حكومة النحاس .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عزل فاروق النحاس للمرة الثانية ، ولم تتدخل انجلترا لإعادته ، وقد حكمت البلاد عدة حكومات أقلية ، ومن أشهر هذه الحكومات حكومة أحمد ماهر (أكتوبر ١٩٤٤م حتى فبراير ١٩٤٥م) . وحكومة النقراشى (٢٤ فبراير ١٩٤٥م إلى ٥ فبراير ١٩٤٦م) ، وإسماعيل صدقى (١٧ فبراير ١٩٤٦ إلى ٩ ديسمبر ١٩٤٦م)، ومن (٩ديسمبر ١٩٤٦م إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م). ثم حكومة النقراشى الثانية (٩ ديسمبر ١٩٤٩ م إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م) وإبراهيم

عبد الهادى (من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م إلى ٢٥ يوليو ١٩٤٩م) ، وحكومة حسين سرى (من ٢٥ يوليو ١٩٤٩م إلى ١٢ يناير ١٩٥١م) .

أما أهم الأحداث التى مرت بها مصر فى هذه الفترة فهى تأسيس جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م فى عهد حكومة النحاس ، وتعيين عبد الرحمن عزام أول أمين للجامعة ، ومن أشهر الأحداث فى تلك السنوات دخول مصر حرب فلسطين عام ١٩٤٨م بالاشتراك مع الجيوش العربية لدفع العصابات الصهيونية عن فلسطين ، وقد أبلى الجيش المصرى بلاءًا حسنًا فى هذه الحرب ، كما ظهرت قضية الأسلحة الفاسدة .

وقد دخلت مصر فى مفاوضات مع انجلترا لتعديل معاهدة ١٩٣٦م فى عهد حكومة النقراشى ، ولما فشلت هذه المفاوضات عُرضت قضية مصر على مجلس الأمن ، الذى لم يتخذ أىّ قرار ، بل ترك القضية معلقة .

وقد أُجريتْ انتخابات عامة ، فاز فيها حزب الوفد عام ١٩٥٠م وتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة مصطفى النحاس ، حاولتْ تعديل معاهدة ١٩٣٦م ، فى الفترة من ١٩٥٠ – ١٩٥١م . وعندما فشل التعديل قام مصطفى النحاس بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م من طرف واحد .

وكان من نتائج إلغاء المعاهدة بداية الكفاح المسلح ، والذى تولاه الفدائيون فى قناة السويس ، وبدأوا فى مهاجمة المعسكرات الإنجليزية فى القناة ، مما أقلق مضاجع الجيش الإنجليزى .

ونتيجة لأعمال الفدائيين ، قام الإنجليز بالهجوم على مبنى محافظة الإسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢م ، وقاوم رجال الشرطة البواسل بأسلحتهم البسيطة ، القوات الإنجليزية المدججة بالأسلحة ، مما أدّى إلى استشهاد الكثير من رجال الشرطة ، فاشتعلت المظاهرات فى القاهرة تندد بالاحتلال الإنجليزى ، مما أدى لاندلاع الحرائق بالقاهرة ، وهى الحادثة المشهورة بحريق القاهرة فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢م .

وكان من نتائج حادثة حريق القاهرة ، عزل حكومة مصطفى النحاس ، وتعيين وزارة جديدة برئاسة على ماهر ، ولكنها لم تمكث فى الحكم سوى شهر واحد ، ثم شُكِّلت وزارة برئاسة نجيب الهلالى ، الذى قام بحلِّ البرلمان . واستقال فى ٢٨ يونيه ١٩٥٢م . وبعده تشكلت وزارة برئاسة حسين سرى ، واستمرت لمدة ثمانى عشر يومًا فقط ، ثم عُيِّنَ الهلالى رئيسًا للوزراء للمرة الثانية ، ولكن قامت الثورة بعد تولِّيه الوزارة بيوم واحد .

٧ ـ ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م [١]

(عودة الروح)

عوامل قيام ثورة ١٩٥٢م :

١ - استمرار الاحتلال الإنجليزى .

٢ - قضية الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين .

٣ - سوء الأحوال الاقتصادية .

٤ - سوء الأحوال الاجتماعية .

٥ - فساد النظام الملكى .

مقدمات الثورة :

نتيجة السياسات الخاطئة ، والتى تعرَّض لها الجيش المصرى فى عهد الملكية ، منها استمرار الإشراف عليه من الضباط الإنجليز ، والذين حاولوا إضعافه بشتى الطرق ، بالإضافة لإهمال الحكومة شئون التسليح ، واتضح ذلك خلال حرب فلسطين ١٩٤٨م . كل هذه النتائج كانت سببًا رئيسيًّا فى قيام مجموعة من الضباط الوطنيين فى الجيش بتكوين تنظيم الضباط الأحرار ، والذى أخذ على عاتقه تخليص مصر من كل ما تعانيه .

وقد تم تكوين تنظيم الضباط الأحرار ، فى سبتمبر ١٩٤٩م ، برئاسة الزعيم الراحل (جمال عبد الناصر) وكان التنظيم فى بدايته سريًّا ، نظرًا لأن قوانين الجيش تمنع العمل السياسى ، وخوفًا من عيون المخابرات العسكرية المصرية والإنجليزية .

وكانت أولى بدايات عمل تنظيم الضباط الأحرار ، هو قيادة انتخابات نادى الضباط ، حيث رشح الضباط الأحرار اللواء (محمد نجيب) ليكون مرشحًا ضد مرشح السراى (حسين سرى عامر) ، وقد استطاع الضباط الأحرار الفوز فى هذه

---

(١) انظر عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، مكتبة الأسرة .

الانتخابات ، والتى جرتْ فى عام ١٩٥١م ، وعندما حاول الملك فاروق تمثيل سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى ، رُفِض اقتراحه ، وبذلك يكون قد فقد السيطرة على الجيش . وكان لهذه الانتخابات نتيجة هامة وهى خروج تنظيم الضباط من السرية إلى العلانية .

قيام الثورة :

كان الميعاد المحدد للثورة هو عام ١٩٥٥م ، ولكن الأحداث التى مرت بها مصر كانت سببًا فى الإسراع بقيام الثورة ، وهذه الأحداث هى حريق القاهرة فى ٢٩ يناير ١٩٥٢م ، وحالة الفوضى التى سادت عقب الحادث بالإضافة لعدم استقرار الحكومات ، والتى وصل عددها إلى أربع وزارات فى مدة لا تتجاوز ستة أشهر .

كما أن قيام الملك فاروق بحلِّ مجلس نادى الضباط ، وكشف أسماء تنظيم الضباط الأحرار ، بالإضافة لتعيين حسين سرى عامر وزيرًا للحربية ، حيث كان يرغب فى التنكيل بالثوار ، ولذلك قدَّمت الثورة ميعادها ليكون فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

وكانت خطة الثورة مبنية على : احتلال دار الإذاعة ، بالإضافة لقيام قوات بمحاصرة مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، حتى لا تجد القوات المناوئة للثورة ، قيادةً تحركها ، بالإضافة لإغلاق مداخل القاهرة من الشرق ، والشمال .

وقد تقدمت قوات عسكرية ، خرجت من معسكر (الهايكتسب) بقيادة المقدم (يوسف صديق) واستطاع هذا البطل حصار مقر قيادة القوات المسلحة بكوبرى القبة ، رغم المرض الذى كان يعانيه فى صدره ، واستطاع هذا البطل إلقاء القبض على معظم القواد الذين كانوا مجتمعين ، ثم توالى وصول القوات لدعم قوات الاقتحام .

وفى تمام الساعة السابعة والنصف ، أُذيع بيان الثورة من الإذاعة المصرية ، وكان نص البيان من اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى :

(اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الأخير من الرشوة ، والفساد ، وعدم استقرار الحكم . وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش . وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين . وأما فترة بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد ، وتآمر الخونة على الجيش . وتولَّى أمره إما جاهل ، أو خائن ، أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها .

وعلى ذلك قمنا بتطهير أنفسنا وتولَّى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم ، وفى خلقهم ، وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب ، أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر، وسيُطلق سراحهم فى الوقت المناسب . وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور ، مجردًا من أية غاية .

وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف ، لأن هذا ليس فى صالح مصر ، وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال . وسيقوم الجيش بواجبه متعاونًا مع البوليس ، وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم ، وأرواحهم ، وأموالهم ، ويُعتبر الجيش مسئولاً عنهم والله ولى التوفيق).

وقد تداعتْ الأحداث بعد ذلك سريعًا ، حيث قدمت وزارة نجيب الهلالى استقالتها ، وشُكلت وزارة جديدة برئاسة على ماهر ، وكانت هذه الوزارة بناءً على طلب الثوار ، وقد اتخذ الثوار قرارًا بإرسال قوات للإسكندرية لإجبار الملك فاروق على التنازل عن العرش ، فوقَّع أمرًا ملكيًّا بالتنازل عن العرش .

ونص الأمر هو : (أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢م . نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان – لما كنا نتطلب الخير دائمًا لأمتنا ، ونبتغى سعادتها ، ورقيها ، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ، ونزولاً على إرادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد ،

وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه) .

وقد غادر فاروق سراى رأس التين فى ٤ من ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ / ٢٦ يوليو ١٩٥٢م . وبذلك خرج آخر ملوك أسرة محمد على من مصر نهائيًا ، وانتهى دورهم فى الحياة السياسية المصرية .

مبادئ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م :

١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه .

٢ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٣ - القضاء على الإقطاع .

٤ - إقامة عدالة اجتماعية .

٥ - إقامة جيش وطنى قوى .

٦ - إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وقد استطاعت الثورة تحقيق مبادئها الستة ، فتم إجبار الإنجليز على الجلاء من مصر بعد توقيع معاهدة الجلاء فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م ، وخرج آخر جندى إنجليزى من مصر ١٣ يونيو ١٩٥٦م .

كما تم القضاء على النظام الملكى ، عندما أعلنت الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م . وتم تعيين اللواء محمد نجيب كأول رئيس لجمهورية مصر ، وفى عهده صدر قانون الإصلاح الزراعى ، ولكن أحداث أزمة مارس ١٩٥٤م ، أبعدت محمد نجيب عن الحكم ، وتولّى بدلاً منه الرئيس جمال عبد الناصر .

أما فى المجال الاجتماعى ، فقد تم القضاء على الإقطاع بصدور قانون الإصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢م ، والذى حدد الملكية الزراعية بحد أقصى ٢٠٠ فدان ، ثم صدرت قوانين أخرى وصلت بأقصى حدٍّ للملكية خمسين فدانًا ، ووزع

الباقى على الفلاحين . كما أرستْ الثورة دعائم العدالة الاجتماعية عن طريق تطبيق مجانية التعليم ، وإصدار قوانين التأمينات الاجتماعية ، وتحديد ساعات العمل بسبع ساعات يوميًا ، مع إشراك العمال فى مجالس إدارات الشركات ، وتخصيص نسبة من الأرباح لهم .

أما فى المجال الاقتصادى فقد تم إنشاء السد العالى والتوسع فى الإنتاج الزراعى والصناعى وإقامة صناعات ثقيلة مثل الحديد والصلب ، ومصنع الأسمدة .

أما فى المجال الدولى فقد تبنت الثورة سياسة عدم الانحياز ؛ ولذلك اشتركت مصر فى تأسيس منظمة عدم الانحياز ، والذى تم إعلانه فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م . كما ساعدت مصر الثورات التحررية والتى حدثتْ فى العالم النامى مثل ثورة الجزائر ، وثورة اليمن . كما ساعدت السودان على الاستقلال من انجلترا ، وساعدت معظم الثورات فى إفريقيا ، كما كانت مصر تحارب سياسة الأحلاف مثل حلف بغداد .

٨ ـ معارك حدثت بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م

معركة بورسعيد (العدوان الثلاثى على مصر) سنة ١٩٥٦ :

تعود أسباب هذه المعركة ، لرغبة الدول الاستعمارية ، ممثَّلة فى انجلترا وفرنسا وإسرائيل فى محاولة ضرب الثورة المصرية ، وقد كان لكل دولة أسباب جعلتها تدخل الحرب ، فبالنسبة لانجلترا كان للخروج البريطانى المخزى من مصر بعد توقيع معاهدة الجلاء عام ١٩٥٤م . وتأميم شركة قناة السويس مبرر للقيام بالعدوان .

وبالنسبة لفرنسا ، اعتبرت مساعدة مصر لثورة الجزائر سببًا للعدوان ، أضف إلى جانب ذلك تأميم شركة قناة السويس ، وبالنسبة لإسرائيل تلاقت رغباتها مع رغبات انجلترا وفرنسا فى تحطيم قدرات مصر العسكرية ، وخصوصًا بعد اتجاه مصر لتسليح الجيش من دول الكتلة الشرقية .

وكانت خطة العدوان مبنية على قيام إسرائيل بهجوم برى على شبه جزيرة سيناء ، يتزامن مع إسقاط جوى يقوم به سلاح المظلات الإنجليزى والفرنسى على قاعدة قناة السويس بحجة الدفاع عنها ضد العدوان .

ولكن الشعب والجيش المصرى تصدوا لقوى العدوان ، وظهرت بطولات شعبية ، خُلدت أسماؤها على مرِّ العصور ، فسجل الشرف يحتوى على الكثير من المصريين سواء العسكريين أو المدنيين ، فمن الأبطال العسكريين يبرز اسم الضابطين البحريين جلال الدسوقى وعلى صالح . اللذين استطاعا إغراق مدمرتين فرنسيتين أمام بحيرة البرلس . ومنهم الشاويش محمد الذى استطاع هو وقواته تدمير اثنى عشر مصفَّحة ، وقتل مائتى إسرائيلى وإسقاط قاذفة قنابل إسرائيلية أثناء الدفاع عن التبَّة ١٨٣ .

وأما الأبطال المدنيون فظهر الكثير منهم ، ولعل أشهرهم جواد حسنى طالب الحقوق الذى استطاع الصمود أمام فرقة عسكرية بمفرده ، واستطاع قتالهم طول

الليل ، حتى أغمى عليه من نزيف دمائه الطاهرة ، وأُخِذ أسيرًا وعُذِّب حتى يبوح بأسرار زملائه ، ولكنه رفض حتى أعدمه الأعداء .

لقد صنع الجيش والشعب فى بورسعيد ملحمة رائعة ، أنهت أسطورة بريطانيا التى أصبحت الأسد العجوز ، وأنهت عجرفة الفرنسيين ، فقد تحولت جثث الأعداء إلى رمم ملقاة فى الصحراء والمياه .

حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م

كان من أسباب هذه الحرب رغبة إسرائيل فى تحطيم قدرات مصر العسكرية ، والتى كانت تؤرق العدو ، وأيضًا تطبيق مصر لمبدأ الدفاع المشترك ، فعندما حشدت إسرائيل قواتها على الحدود السورية ، بدأت مصر فى اتخاذ عدة إجراءات منها طرد قوات الطوارئ من سيناء ، وغلق خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية .

انتهزت إسرائيل الفرصة وقامت بضربة جوية مفاجئة للمطارات المصرية ، وفى نفس التوقيت قامت بالهجوم على سوريا ، وقد استمرت الحرب لمدة ستة أيام ، ونتج عنها استيلاء إسرائيل على سيناء من مصر ، وعلى هضبة الجولان من سوريا ، والضفة الغربية لنهر الأردن من فلسطين .

وقد اجتمع مجلس الأمن وأصدر قراره الشهير رقم ٢٤٢ والذى يقضى بالآتى:

١ - انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧م .

٢ - عدم استخدام القوة أو التهديد بها لحل المنازعات .

٣ - حرية الملاحة فى الممرات البحرية .

٤ - تعيين وسيط دولى لحلِّ القضايا بين العرب وإسرائيل .

٥ - حل مشكلة اللاجئين .

وقد استجابت مصر لقرار مجلس الأمن ، أما إسرائيل فزادت فى عجرفتها وغرورها ، وقد عقد العرب مؤتمرًا للقمة فى الخرطوم عام ١٩٦٧م . وأصدر قرارًا بدعم دول المواجهة مع إسرائيل وهى : مصر وسوريا والأردن ولبنان .

ولم يستسلم المصريون للهزيمة فى حرب سنة ١٩٦٧م ، وإنما خاضوا معارك ضد الإسرائيليين لعل من أشهرها حرب الاستنزاف والتى بدأت من عام ١٩٦٨م . وكبدت العدو خسائر فادحة فى الأرواح والأموال . وكان من أشهر هذه الحروب هى حرب شدوان ، وإغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات ، وتدمير ميناء إيلات الإسرائيلى . وهذه الحروب كانت بداية للملحمة الكبرى ، ألا وهى معركة العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م .

حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣

قبل نشوب حرب أكتوبر قامت مصر بعدة إجراءات سواء على المستوى السياسى والعسكرى والاقتصادى ، فعلى مستوى السياسة الخارجية بدأت مصر تعيد علاقاتها مع الدول العربية ، وتنسق مع سوريا للحرب ، كما عملت مصر على تهيئة الرأى العام العالمى لتقبل قضايا العرب .

أما على المستوى العسكرى فقد تم تدريب الجنود وتسليحهم بالأسلحة الحديثة، كما طردت مصر الخبراء الروس من الجيش حتى يكون النصر مصريًا خالصًا ، وحتى لا يدَّعى أحد بأن الروس كانوا من أسباب الانتصار ، بالإضافة لعدم قيام هؤلاء الخبراء بعملهم على أتم وجه ، ولذلك كان طردهم قرارًا صائبًا .

وعلى المستوى الداخلى استقرت الأوضاع الداخلية ، وخصوصًا بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ م ، وإصدار الدستور الدائم لمصر ، وغلق المعتقلات وتعبئة الشعب للمعركة المصيرية .

وقبل التحدث عن الحرب ، ينبغى أن نعرف مدى الصعوبات التى كانت تواجه الجنود المصريين ، فقد أقامت إسرائيل ساترًا ترابيًا على الخط الشرقى لقناة السويس بارتفاع عشرين مترًا لمنع الوصول لسيناء . ومدَّتْ مواسير النابالم أسفل القناة حتى تحرق مَنْ يحاول العبور .

وقد سُمِّى هذا الخط بخط بارليف ، وكلف ما يقرب من مليون دولار بأسعار هذا الزمان ، ويعادل حاليًا مليار دولار . وخلف الخط توجد تحصينات مزودة بأسلحة مثل المدافع ذاتية الحركة . وقد كان هذا الخط يعتبر من أكبر العوائق العسكرية ، ولم يماثله سوى خط ماجينو الشهير فى فرنسا .

وقد كان وزير الدفاع الإسرائيلى (موشيه ديان) يقول : إن مصر لو أرادت عبور خط بارليف تحتاج إلى سلاح المهندسين الروسى والأمريكى معًا . وهناك من يقول : إن هذا الخط لا يكفيه أقل من شهر لمجرد الاقتراب منه . ولكن كل هذه الأوهام والترهات والأحلام الزائفة حطمها الجيش المصرى فى ست ساعات فقط.

وقد بدأت حرب أكتوبر فى تمام الساعة الثانية ظهرًا من يوم السبت الموافق ١٠ رمضان سنة ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م . عندما قام سلاح الطيران المصرى بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك بتوجيه ضربة جوية مكثفة حققت أكثر من تسعين بالمائة من أهدافها . ونتج عنها تدمير مطارات العدو فى سيناء ، ومحطات الرادار ، ومدفعية العدو . وكان عدد الطائرات المصرية حوالى مائتين وعشرين طائرة أقلعت من عشرين قاعدة جوية .

وفى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق قامت المدفعية المصرية بقصف العدو بمعدل ألفى قذيفة فى الدقيقة ، وقد حققت ضربات المدفعية أعلى معدل تمهيد نيرانى فى العالم ، ونتج عنها اختباء الإسرائيليين فى الخنادق وعدم مغادرتها مما سهَّل عملية العبور .

ثم عبرت موجات العبور الأولى مكوّنة من جنود المشاة بقوارب المطاط القناة ، واستطاعت تسلق الساتر الترابى ، ورفْع علم مصر فوق خط بارليف ، بينما تمكن سلاح المهندسين من فتح ثغرات فى الساتر الترابى وإقامة رؤوس كبَارٍ لعبور الدبابات والمعدات ، ومع اقتراب صلاة المغرب كان المصريون قد استطاعوا السيطرة على خط بارليف ، ثم تطوير الهجوم شرقًا .

وقد ظهرت فى حرب أكتوبر بطولات لا تسعها آلاف المجلدات ، ولكن من أبرزها تحطيم اللواء المدرع الإسرائيلى بقيادة عساف ياجورى الذى سقط فى الأسْر ، وقد استطاع جندى مصرى بمفرده أن يحطم اثنتين وعشرين دبابة باستخدام مدفع مضاد للدبابات محمولاً على الكتف ، واسم هذا الجندى عبد العاطى ، وأُطلِق عليه صائد الدبابات .

وقد حاولت إسرائيل فتح ثغرة فى القوات المسلحة عن طريق احتلال مناطق فى غرب القناة لحصار الجيش المصرى ، وعن طريق احتلال مدينة السويس ، ولكن أهالى مدينة السويس ، والجيش الثالث المصرى استطاعوا هزيمة إسرائيل فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٧٣م . وخرج العدو الإسرائيلى يجرُّ أذيال الخيبة بعد أن لقَّنه أهالى السويس درسًا لن ينساه .

وقد سارعت الدول الكبرى لإنقاذ إسرائيل ، عن طريق مدِّها بالأسلحة والدعم الفنى والمادى ، وصدر قرار من مجلس الأمن بوقف إطلاق النيران ، وكلما حاولت إسرائيل انتهاكه تلقت ضربة عسكرية حطمت كبرياءها .

وقد بلغت خسائر الإسرائيليين فى حرب أكتوبر ثلاثة آلاف قتيل وألوف الجرحى ، وأعداد لا تُحصى من المعدات والطائرات ، كما استولت مصر على حوالى خمسة عشر كيلو مترًا شرق القناة . كما هزَّت حرب أكتوبر ثقة الإسرائيليين فى أنفسهم حتى رئيسة وزرائهم (جولدا مائير) أصيبت بالاكتئاب وتحطمت أسطورة الجيش الذى لا يُقهر ، والذى أصبح هشيمًا تذروه الرياح .

وقد ترتب على حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م عدة نتائج هامة وهى : أصبحت نقطة تحول فى مسار الصراع العربى الإسرائيلى، حيث تحول ميزان القوى تجاه العرب، كما أنهت حرب أكتوبر حالة اللا سلم واللا حرب ، فقد أرغمت الدول الكبرى على احترام حقوق العرب ، كما كان لحرب أكتوبر أثرها الاقتصادى ، حيث رفعت أسعار البترول العربى ، نتيجة وقف العرب لإمدادات البترول عن أوربا ، مما جعل الدول الغربية تلجأ للتضامن مع مصالح العرب .

٩ ـ معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل

بدأت بوادر السلام بين مصر وإسرائيل عندما قام الرئيس الراحل محمد أنور السادات بزيارة إسرائيل فى عام ١٩٧٧م ، وكان هدفه من هذه المبادرة تجنيب منطقة الشرق الأوسط خطر الحروب المدمرة ، وتحقيق الاستقرار اللازم لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وقد زار إسرائيل فى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧م ، وألقى خطابًا فى الكنيست الإسرائيلى ، وضَّح فيه رؤياه للسلام القائم على العدل .

مؤتمر كامب ديفيد ـ ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨م :

حضر هذا المؤتمر الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ، وبحضور جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد وضع المؤتمر إطارًا للسلام القائم على الأسس الآتية :

١ – الانسحاب الكامل من سيناء .

٢ – تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل .

٣ – تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

معاهدة السلام فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩م :

تحتوى هذه المعاهدة على عدة بنود ، وأهمها :

١ – إنهاء حالة الحرب والامتناع عن التهديد بها ، وحلّ المشاكل بالطرق السلمية .

٢ – الانسحاب الإسرائيلى التام من شبه جزيرة سيناء .

٣ – الاعتراف بسيادة كل طرف من أطراف النزاع على أرضه .

٤ – إقامة علاقات طبيعية سياسية واقتصادية وثقافية بين الطرفين .

٥ – إقامة مناطق محدودة السلاح على جانبى الحدود .

٦ – بدء مفاوضات الحكم الذاتى للضفة الغربية وقطاع غزة بعد شهر من التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية .

٧ – الأساس الذى قامت عليه اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨م ، ومعاهدة السلام ١٩٧٩م هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وقد بدأ الجانبان تنفيذ المعاهدة ، فتم جلاء الإسرائيليين عن شبه جزيرة سيناء فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٨٩م . وبقيت مشكلة طابا فلجأت مصر للتحكيم ، والذى أقر بحقها فى طابا سنة ١٩٨٩م ، وبذلك عادت كامل الأراضى المصرية لمصر .

وبالنسبة للجزء المتعلق بالفلسطينيين ، رَعَتْ مصر مؤتمر مدريد ، والذى أرسى مبدأ الأرض مقابل السلام ، ثم مؤتمر أوسلو بالنرويج والذى نتج عنه قيام سلطة وطنية فلسطينية فى قطاع غزة وأريحا .

كما دعتْ مصر لعدة مؤتمرات الغرض منها نَزْع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة ، ودعتْ أيضًا لمحاربة الإرهاب قبل أنْ يستشرى خطره فى كل مكان فى العالم.

* * *

مراجع مختارة

أولاً : مراجع التاريخ القديم :

١ - أدولف إرمان :

- ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، مكتبة الأسرة - القاهرة ١٩٩٧ .

٢ - ج - جنير :

- الحياة أيام الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ١٩٩٨م .

٣ - جورج بوزنر وآخرون :

- معجم الحضارة المصرية القديمة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة .

٤ - حسن الرزاز :

- طرق مصر المقدسة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٥ - سليم حسن :

- موسوعة مصر القديمة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٠م ، جـ١ .

- أبو الهول تاريخه فى ضوء الكشوف الحديثة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٦ - شارلزورث :

- الامبراطورية الرومانية ، ترجمة : رمزى عبده ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ١٩٩٩ .

٧ - فلندر :

- الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ، ترجمة : حسن محمد جوهر ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥م .

ثانيًا : مراجع التاريخ الإسلامى :

١ - الإسحاق المنوفى :

- أخبار الأُوَل فيمن تصرف فى مصر من أخبار الدول ، هيئة قصور الثقافة مصر .

٢ - ابن تغرى بردى :

- النجوم الزاهرة فى محاسن مصر والقاهرة . وزارة الثقافة مصر .

٣ - السيوطى :

- حُسْن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

٤ - **ابن شامة :**
- الروضتين فى أخبار الدولتين، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢ .

٥ - **عبد الله خورشيد :**
- القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة . القاهرة .

٦ - **الكندى :**
- ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، هيئة قصور الثقافة ، مصر .

٧ - **المقريزى :**
- البيان والإعراب عمن حلَّ بمصر من الأعراب ، تحقيق عبد النعيم ضيفى عثمان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير ، القاهرة .
- اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، الهيئة العامة للكتاب .

٨- **ابن إياس الحنفى :**
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، دار الشعب . القاهرة .

ثالثًا : العصر الحديث :

١ - **الجبرتى :**
- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، دار الشعب . القاهرة .

٢ - **سهير حلمى :**
- أسرة محمد على ، مكتبة الأسرة ، القاهرة .

٣ - **عبد الرحمن الرافعى :**
- عصر محمد على ، دار الهلال ، القاهرة .
- عصر إسماعيل ، دار الهلال ، القاهرة .
- الثورة العرابية ، دار الهلال .
- ثورة سنة ١٩١٩م ، دار الشعب .
- مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

٤ - **عبد العظيم رمضان :**
- الهجمة الاستعمارية على الوطن العربى ، مكتبة الأسرة ، القاهرة .
- تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (ترجمة) .